

رواية السعودي محمد حسن علوان «موت صغير» (دار الساقي) المتوجة، ردود أفعال

هلها المرة الأولى التي يحدث فيها العمل الفائزة بـ «بوكر» العربية كل هذه الضجة. أثارت

بوكر وأخواتها جوائز الرواية

صخب إعلامي بعد «زلزال محمد حسن علوان»

خليف صويلح

تنجح «الجائزة العالمية للرواية العربية» (بوكر العربية) كل موسم، في إثارة الصخب الإعلامي إلى أقصاه. معارك طاحنة وخبائث ومتنازعات، استنفار جغرافي شامل، اتهامات واتهامات مضادة في سبب اختيار هذه الرواية أو تلك. تستيقظ روح القبيلة بغياب من يمثلها في الوليمة الدسمة، بدءاً من اختيار أعضاء لجنة التحكيم، وصولاً إلى إعلان القائمة الطويلة، ثم القصيرة. ويشهد الزلزال إلى مرتبة السلاح الأبيض بإعلان الرواية الفائزة. أو على نحو أكثر دقة، الروائي الفائز، ذلك أن الأمر يتعلق بهويته الشخصية أولاً، بصرف النظر عن أن روايته مكتوبة بالعربية. وإذا بالسجل يذهب إلى «الهويات القتالة»، وليس إلى الصنيع الروائي والابتكار السردي ومهارة التخيل. في النسخة العاشرة للجائزة، أثارت رواية السعودي محمد حسن علوان «موت صغير» (دار الساقي) المتوجة هذا الموسم، ردود أفعال متضاربة، وصلت إلى حدود الإقصاء البلاغي من جهة، ومدبح خصوصيتها السردية من جهة ثانية، ليختزل السجال حول شخصيتها المحورية «ابن عربي». لماذا هذا المتصوف؟ وما الفكرة المبتكرة من إعادة سيرة صاحب «ترجمان الأشواق»؟ وهل هذا الانحياز يصب في سياق الموضة الروائية في تمجيد الصوفية، مقابل إغماض العينين عن اللحظة الراهنة؟

سهام كثيرة تعرضت لها هذه الرواية، في طعنات طائشة، وأخرى في الصميم، كمحصلة للاشتباك الجغرافي أولاً، كأن صاحبها جزء من استراتيجية بلاده في حربها على اليمن، وليس روائياً مفرداً لديه مشروع الخاص. بين «رواية مضجرة»، و«رواية فذة»، تتأرجح الآراء النقدية العجلى في تقويم هذا العمل، على خلفية اصطفايات جيوسياسية في المقام الأول، كان الروائي الخليجي يكتب باللغة الأوردية، لا بلغة الضاد. كما أن تراجع أسهم «روائيين كبار» كانوا في القائمة القصيرة، لمصلحة روائي شاب (1979)، أثار حمية بعضهم - في الكواليس ونميمة المقاهي ومواقع التواصل الاجتماعي - بخصوص ضرورة حفظ المقامات. المسألة أيضاً، تتعلق بالذائقة في تلقي هذه الرواية أو تلك. شخصياً، وجدت أن الرواية تعمل في المنطقة المجاورة لاشتغالات أمين معلوف في «سمرقند» عن حياة عمر الخيام، وجيلبرت سينويه في «ابن سينا أو الطريق إلى أصفهان»، لكن من دون أن تفحص مناطق الشك والقلق والحيرة في سيرة صاحب «الفتوحات المكتبة» بالعمق نفسه، وكذلك بتشويق أقل، نظراً إلى الاستطرادات الأفقية، وخفوت وقع الضربات الشاقولية في المعمار الروائي، وربما، من ناحية ثانية، الرهان على أهمية شخصية ابن عربي بوصفها كنزاً سردياً مهماً، ينطوي على إشراقات صوفية ورحابة معرفية وروحانية تصب

تحكيم الجائزة سحر خليفة إلى الدفاع عن الرواية بقوة، بعد اتهامها معظم الروايات العربية الجديدة بأنها لا تستحق ثمن الورق الذي كُتبت عليه. وقد أغرقت صفحاتها على الفايبيوك بمقالات وتعليقات في مديح الرواية، بالإضافة إلى إعجابها الشخصي المفرط بمناخاتها «تتميز بنبشها لسيرة حياة وفكر المتصوف الأندلسي ابن عربي، وتبرز بشكل فني لافت وبلاغة لغوية أسرة، نظرة ابن عربي للحب الروحي في أرقى صورته، وأيضاً الدنيوي، في دنيا زائلة لا تخلد لإنسان راحل. كما تتطرق الرواية لأحوال البلدان التي زارها المتصوف بحثاً عن أوتاده الأربعة، لنكتشف من خلال بحثه المتواصل وجولاته المتعددة قدرته على رصد حياة الناس في تلك البلدان، والعوامل السياسية والاجتماعية التي دعت للثورة فيها، فجاءت شخصيته التاريخية، بحضورها الفلسفي والإنساني والدرامي، مكتملة البناء».

واسيني الأعرج في تعليق له على الفايبيوك، معتبراً إياها بدعة عربية خالصة: «حكاية البدانة ومقابلها النخافة، مفهوم عربي فقط وغير نقدي أصلاً، لم أجده في ثقافة أخرى من التي أعرف. لا نحكم على الرواية من عدد صفحاتها لكن من خلال منجزها

تأكيد «صورة قديمة رثت للشرق»، باعتبار «الصوفية أبرز منتجاتنا الفكرية»، مذ وضع الغرب هذه البضاعة على «خريطة الموضة العالمية»

فقط. انظر الروايات الفائزة أو التي لاقت رواجاً، فيها النحيف والوسط والبدين». وأضاف أن سبب فوز «موت صغير» يتعلق بجودتها أولاً، فهي «جعلت التاريخ السري مساحة راقية للسرد الروائي». من جهة أخرى، سعت رئيسة لجنة

شراسة، إلى درجة اتهام صاحب «القمندس» بالسطو على رواية عربية منشورة منذ سنوات عن حياة ابن عربي بعنوان «كوميديا الحب الإلهي» للعراقي لؤي عبد الإله، كما فعل باسم المرعبي في مقال مطول، واصفاً الرواية بأنها «علبة مغلقة يشعر القارئ بثقلها عبر مئات الصفحات التي يمكن حذفها بسهولة دون أن يخل ذلك بها، خاصة تلك الفصول الموازية للمتن الرئيسي للرواية، المطبوعة بالحرف الغامق، فهي وحدات مستقلة تصلح أن تكون قصصاً قصيرة أو حتى مقالات، إذ لا صلة لها من قريب أو من بعيد بمسار أحداث الرواية وتطوراتها، إلا بشكل متعسف». وسوف يستنجد بمصطلح «البدانة الروائية» الذي ابتكره سعيد يقطين، لجهة الفائض السردي عسير الهضم، وفقاً لقلوبه. فكرة البدانة الروائية التي تداولها كثيرون، نظراً إلى ضخامة الرواية (600 صفحة)، أثارت حفيظة الروائي الجزائري

